المجلة التاريخية الجزائرية | المجلد:3،العدد:02،ديسمبر2019 .العدد التسلسلي: 12.ص227-240
Volume: 3-N: 02, December 2019- S/ N 12. p227-240 | Issn:2572-0023

صدى اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين في الصحافة المغربية

The hijacking of the plane of the Algerian leaders in the Moroccan press

Pr/ Bouchenafi Mohamed * **أ.د/محمد بوشنافي**
University of Sidi Bel Abbes– جامعة سيدي بلعباس
bouchenafi22@gmail.com

History of the article/معلومات المقال		
Received/الإرسال	Accepted/المراجعة	Published/القبول للنشر
2019/07/26	2019/09/07	2019/12/30

الملخص:

تعتبر حادثة اختطاف طائرة زعماء الثورة الجزائرية جزء من أحداث ثورتنا المجيدة، والتي وقعت يوم 22أكتوبر1956، حيث استولى خلالها الجيش الفرنسي على طائرة للخطوط الملكية المغربية، والتي كانت تقل على متنها خمسة من قادة الثورة الجزائرية متوجهة من الرباط إلى تونس للمشاركة في الندوة المغاربية، التي كان مقرّر عقدها في تونس لتأكيد البعد المغاربي للثورة الجزائرية والسعي مع مختلف الأطراف لتحقيق هذه الوحدة، وإبداء التضامن الحقيقي، وتخليص أقطار المغرب العربي من الهيمنة الاستعمارية، وقام أفراد أجهزة المخابرات الفرنسية في العاصمة المغربية بتغيير مسارها. فكانت هذه الحادثة محط نقاش من طرف صحافة المملكة المغربية التي أبدت تلاحمها المغاربي مع الثورة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الصحافة المغربية، اختطاف طائرة، شمال إفريقيا، الثورة الجزائرية.

Summary:

The hijacking of the leaders of the Algerian revolution is part of the glorious revolution of ours, which took place on October 22, 1956, during which the French army seized a plane of the Royal Moroccan Airlines, which was carrying five leaders of the Algerian revolution heading from Rabat to Tunisia to participate in the Maghreb symposium, Which was scheduled to be held in Tunisia to confirm the Maghreb dimension of the Algerian revolution and seek with the various parties to achieve this unity, and show real solidarity, rid the countries of the Maghreb of colonial domination, and members of the French intelligence services in the.

* المؤلف المرسل: أ.د/محمد بوشنافي، الإيميل: bouchenafi22@gmail.com

Moroccan capital changed its course. This incident was the subject of discussion by the press of the Kingdom of Morocco, which demonstrated its cohesion with the Maghreb with the Algerian revolution
key words: Moroccan press, The hijacking of the plane, North Africa, Algerian Revolution,

مقدمة:

أكد بيان أول نوفمبر 1954 على البعد الخارجي للثورة الجزائرية من خلال العمل على "تدويل القضية الجزائرية" و"تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي". ومن هذا المنطلق برز تلاحم وتضامن بين هذه الثورة والحكومات وشعوبها المناضلة والمحبة للحرية، اتخذ هذا الدعم أشكالا شتى، وخاصة من قبل الجيران، أي المغرب وتونس وليبيا، التي شكلت لفترة من الزمن قواعد خلفية للثورة ورجالها، وأمام تزايد ضغط الثورة الجزائرية اضطرت فرنسا إلى منح تونس والمغرب استقلالهما في سنة 1956 بهدف تركيز كل مجهودها العسكري والسياسي للقضاء على ما أسمته بالتمرد في الجزائر.

1 . ظروف وأحداث اختطاف الطائرة

كانت الحركات الوطنية المغاربية قد دعت إلى توحيد كفاح شعوب شمال إفريقيا فبرز ذلك في أحداث شتى مثل تأسيس نجم شمال إفريقيا في 1926، أو تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة في شهر فبراير 1947 للتعريف بقضايا المنطقة وما تعانيه من ظلم وتعسف في ظل السيطرة الاستعمارية، وقد بيّن علال الفاسي أهمية هذا المكتب لما قال بأنه أصبح "مطمح أنظار الذين يهتمون بالشؤون المغربية ويعملون لها، ومحج الوافدين من شمال إفريقيا خصوصا بعد أن اجتمع فيه زعماء هذه البلاد"[1]. كما ركز بيان أول نوفمبر على هذه الوحدة في الكفاح، ونلمس ذلك من خلال العبارة التالية "إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا. وما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل".

تزايد هذا التلاحم المغاربي لما انتقلت الحركات الوطنية المغاربة إلى مرحلة الكفاح المسلح، وخاصة خلال مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية بعد حصول الشقيقتين تونس والمغرب على

استقلالهما السياسي، حيث أضحى هذان القطران قاعدتين لإمداد الثورة بشتى المساعدات ومراكز لنشاط القادة السياسيين والعسكريين. ولعل أهم حادث يبرز لنا هذا الدعم ذلك الذي وقع في يوم 28 أكتوبر 1956 والمتمثل في اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين التي كانت متوجهة من المملكة المغربية إلى تونس، لقد نتج عن هذا العمل ردود أفعال دولية واسعة حيث نددت به كل الشعوب والشخصيات المحبة للسلام والحرية، باعتباره يتنافى مع القوانين والأعراف الدولية، فهو يعتبر نوعا من القرصنة الجوية، فكانت المملكة المغربية وتونس من أكبر المنددين والمستنكرين لهذا الحادث.

ولعل ما ساهم في بروز الموقفين التونسي والمغربي بحزم أكثر من مواقف الدول الأخرى، أن هذين البلدان كانا معنيين بهذه القضية مباشرة، ذلك أنه كان من المتفق أن يعقد اجتماع في تونس يضم كلا من السيد الحبيب بورقيبة رئيس الحكومة التونسية والملك محمد الخامس وزعماء جبهة التحرير الوطني الجزائرية بهدف إيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية وبموافقة فرنسية على ذلك، وهذا ما جعل هذين البلدين يعتبران العمل الذي قامت به فرنسا نوعا من الخيانة للثقة واستهتارا بزعمائها. ونحن لسنا بصدد سرد وقائع عملية الاختطاف، ولكن ما يهمنا في هذا الإطار إبراز ردود الأفعال الرسمية والشعبية تجاه العملية في تونس والمغرب، معتمدين في ذلك على ما أوردته بعض الصحف الصادرة بالمملكة المغربية آنذاك، والتي تناولت بالتفصيل هذه الحادثة وما انجر عنها من ردود أفعال رسمية وشعبية، وسيكون اهتمامنا مركزا بالأساس على أربع جرائد، اثنتان كانتا تصدران باللغة العربية واثنتان باللغة الفرنسية، وهي كالآتي:

-جريدة الرأي العام لسان حال حزب الشورى والاستقلال.

- جريدة العلم لسان حال حزب الاستقلال.

- جريدة الاستقلال AL ISTIKLAL لسان حال حزب الاستقلال.

- جريدة LE PETIT MAROCAIN.

كان الملك محمد الخامس قد تنقل إلى تونس يوم 22 أكتوبر 1956في زيارة رسمية تدوم بضعة أيام، وكان من المتفق أن يلتحق به هناك زعماء جبهة التحرير وهم أحمد بن بلة، حسين آية أحمد، محمد خيضر، محمد بوضياف إضافة إلى مصطفى الأشرف، الذين كانوا قد

قدموا إلى المغرب حيث استقبلوا من قبله، غير أن هذه الحادثة جعلته يقطع زيارته ويعود إلى المغرب بأقصى سرعة لمعالجة الوضع واتخاذ الإجراءات المناسبة لذلك. لقد اعتبر الملك هذه العملية مساسا بشرفه وشرف كل الشعب المغربي، لأن هؤلاء المعتقلين كانوا ضيوفا لديه وتحت حمايته، إلا أن فرنسا لم تراع كل ذلك وأضرت بالسيادة والشرف المغربيين. لقد وصل الغضب والحزن بالملك محمد الخامس من جراء هذه الواقعة أن تمنى لو أن فرنسا اعتقله أو ابنه الأمير الحسن عوضا عن هؤلاء "إن ألمي عظيم جدا وحزني عميق وكنت اختار في الواقع أن أقدم نفسي أسيرا لأشاطر أسر ضيوفي، وربما كان حزني أخف وطأة لو أن ولدي هو الذي كان قد اعتقل"[2]، وهو نفس التصريح الذي تناولته جريدة الرأي العام بالقول " لو اختطف ابني ما جزعت مثل ما جزعت الآن، ولم يبق إلا أن يذهب المرء إلى إدارة الأمن الفرنسية ويقول لهم اعتقلوني كما اعتقلتم هؤلاء"[3]. يتوقف الموقف الرسمي المغربي عند التنديد بعملية الاختطاف بل تعداه إلى مقاطعة شركة الطيران الفرنسية التي كان من المفترض أن تعيد الملك محمد الخامس إلى بلاده، فبسبب الحادثة قرر امتطاء طائرة إيطالية للعودة إلى المغرب، كما قرر تغيير طريق العودة، فعوض المرور عبر الأجواء الجزائرية توجهت الطائرة أولا إلى إيطاليا ثم إلى إسبانيا ومنها إلى المغرب [4].

وكان جلالة الملك قبل مغادرته الأراضي التونسية قد أدلى بتصريح مكتوب قرأه نيابة عنه السيد مولاي أحمد العلوي رئيس قسم الصحافة بالقصر الملكي، عبَر من خلاله عن أسفه لقطع الزيارة فكان مما ورد فيه "... وقد كان بودنا أن نقضي بين ظهران إخواننا التونسيين أسبوعا كاملا للتعرف إلى هذه البلاد العزيزة علينا وعلى أهلها وتوطيد صلات الوداد والمحبة بين بلدينا...غير أنه – ويا للأسف الشديد- فوجئنا بمجرد وصولنا بنبإ آلمنا و كدر صفو ابتهاجنا وأقضى مضاجعنا ألا وهو الاعتداء الذي وقع على ضيوفنا إخواننا الجزائريين الذين قاموا بزيارتنا في قصرنا بالرباط...ونظرا لخطورة الحالة الناجمة عن هذا الحادث اضطررنا آسفين للتعجيل بالرجوع إلى عاصمة مملكتنا لمواجهة الظروف التي تجتاحها البلاد"[5]،كما وجه قوله إلى الرأي العام الفرنسي مبينا له خطورة العمل الذي أقدمت عليه الحكومة قائلا "أتمنى أن يعي الرأي العام الفرنسي الآثار التي ستنجر عن هذا العمل فيما يخص العلاقات المغربية-الفرنسية"[6].

وفي مثل هذه الظروف التي كانت تمر بها المنطقة المغاربية، اتخذت الحكومة المغربية مجموعة من الإجراءات المستعجلة كانت الغاية منها الضغط على فرنسا حتى تطلق سراح المعتقلين الخمسة، فأصدرت بيانا يوم 23 أكتوبر، مما جاء فيه [7].

1- إن الإجراءات التي بادر بها جلالة الملك من أجل إيجاد حل للمعضلة الجزائرية، اتخذت بموافقة ودعم من الحكومة الفرنسية.

2- إن الشخصيات الجزائرية المعتقلة كانوا ضيوفا على جلالة الملك.

وفي هذا الإطار أكد المغرب أنه إذا ثبت فعلا أن الطائرة قد تلقت أوامر بتغيير وجهتها، فإن جلالة الملك يعتبر ذلك إخلالا بوعود فرنسا، وأنه لن يبقى محايدا تجاه عمل خطير جدا، لأنه يمس بسيادة المغرب، وبالتالي سيتخذ كل الإجراءات التي يفرضها مثل ذلك الوضع [8].

يبرز الموقف الرسمي المغربي من خلال البيان الذي صرح به وزير الخارجية يوم 23 أكتوبر 1956 بالرباط، ندد من خلاله بعملية الاختطاف التي قامت بها فرنسا، إلى جانب استدعاء رئيس المجلس المغربي بالنيابة السيد محمدي لممثلي الدبلوماسية لكل من الولايات المتحدة الأمريكية إسبانيا وبريطانيا العظمى، حيث طلب منهم إبلاغ حكوماتهم التدخل لدى فرنسا من أجل السماح للطائرة المختطفة بمواصلة رحلتها نحو تونس، وقدم وزير الأشغال العمومية تفاصيل دقيقة حول عملية الاختطاف خلال ندوة صحفية عقدها بالرباط [9].

كما كلف الملك محمد الخامس وزراء حكومته بإجراء اتصالات مع نظرائهم في الحكومة الفرنسية، وكان قد قرر أنه في حالة فشل هذا المسعى السلمي فإن المغرب سيضطر إلى اتخاذ إجراءات أكثر حزما وصرامة تجاه فرنسا "إن عندنا تدابير صارمة سنضطر إلى اتخاذها ولكننا لا نتخذها إلا بعد معرفة ما ستسفر عنه الجهود التي يبذلها السادة رئيس الوزراء ووزير الخارجية وسفير المغرب لدى الحكومة"[10]. ولعل أخطر إجراء كان سيلجأ إليه المغرب في هذا الإطار كرد فعل على المساس بشرف ملكه وشعبه، قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا والذي أكده السيد البكاي رئيس الحكومة المغربية الذي حمّل باريس المسؤولية الكاملة عما سينجر عن هذه الحادثة [11].

يظهر أن الحكومة المغربية كانت متأكدة من صعوبة المهمة الدبلوماسية لأن فرنسا لن تستجيب لأي نوع من الضغوطات ومن أي جهة كانت، ففي نظرها أن القبض على هؤلاء الزعماء سيكون له أثر سلبي على مسيرة الثورة الجزائرية –أو حركة التمرد كما كانت تسميها-. ورغم ذلك توجه رئيس الحكومة المغربية السيد البكاي ووزير خارجيته السيد أحمد بلفريج إلى باريس من أجل إبراز الموقف المغربي ومحاولة جس نبض الحكومة الفرنسية فيما يخص موقفها تجاه مصير المعتقلين، ولكن منذ البداية كان هؤلاء متأكدين من فشل مساعيهم، ونلمس ذلك من التصريح الذي أدلى به رئيس الحكومة لما قال "إننا نجد أنفسنا أمام حالة خطيرة تتعلق بشرف جلالة الملك وشرف الشعب المغربي بأجمعه، وقد ذهبت إلى باريس برفقة سيادة وزير الخارجية لنظهر للحكومة الفرنسية مدى خطورة المسألة إذا لم تتراجع في موقفها وتعيد إلى المغرب ضيوفه"، كما عبروا عن أسفهم الشديد للتصرف الفرنسي الذي مس شخصية الملك الشريفة "إن المغاربة لا يشعرون بأنهم مذنبون، لأنهم لا يفهمون كيف يمكنهم أن يلعبوا دور الوسيط دون الدخول في مفاوضات مع الطرف الجزائري" [12]. وقرر الطرف المغربي أمام هذا الوضع ضبط النفس آملا أن تكون هذه الأزمة في العلاقات بين البلدين "غيمة عابرة في سماء العلاقات المغربية–الفرنسية سرعان ما ستنجلي"، خاصة وأن الطرفين كانا على وشك التوقيع على اتفاقيات في مجال القضاء والإدارة والثقافة، أعلن الطرف الفرنسي تجميدها، مما جعل وجود السيد الزغاري نائب رئيس الحكومة، الذي حضر إلى باريس خصيصا للتحضير لمراسيم التوقيع غير ضروري [13].

أجرى الوفد المغربي بمجرد وصوله إلى باريس لقاء مع رئيس الحكومة الفرنسية "غي موليهGuy Mollet"، ودام اللقاء ساعة من الزمن، حضره إلى جانب رئيس الحكومة المغربية ووزير خارجيته، سفير المغرب بفرنسا السيد عبد الرحيم بوعبيد، غير أن الوفد و كما كان متوقعا لم يتحصل على مبتغاه، وأعلن رسميا فشل مفاوضات تحرير المختطفين، لما صرح السيد البكاي بمطار أورلي لدى عودته إلى المغرب للصحفيين قائلا "لقد أتيت إلى باريس من أجل تحرير الزعماء الجزائريين الخمسة لكن لم أحصل على مرادي ، وإن كرامة جلالة الملك ككرامة الشعب المغربي، قد أصبحت اليوم في ورطة واعتبر أننا جميعا كنا...هذا الحادث ضحية لغدر سافر، وأن الحالة لجد خطيرة" [14]، وهو نفس التخوف الذي أبداه السفير المغربي السيد بوعبيد حين قال

للصحفيين "إن الحالة لجد خطيرة"[15]، كما عبر عن نيته في مغادرة باريس، ولما سأله أحد الصحفيين إن كان سيعود إليها مجددا رد عليه قائلا "لا أعلم" [16].

لما عاد السيد البكاي إلى الرباط أكد على أن جلالة الملك سيعقد اجتماعا وزاريا طارئا لدراسة الوضع بمجرد عودته من تونس، كما بيّن بأن جلالته كان قد كلفه بالذهاب إلى باريس للحصول على موافقة فرنسا إطلاق سراح "ضيوفه"، ولكن للأسف لم يتحصل على رد إيجابي، وقال "أظن أنه إذا لم يتم إنصافنا فإن قطع العلاقات يبقى أمرا واردا" [17].

ويهمنا في هذا الإطار أن نتعرف على التبريرات التي قدمها رئيس الحكومة الفرنسية للوفد المغربي بعدم الاستجابة لمطلب إطلاق سراح المعتقلين، حيث اعتبرت فرنسا ذلك الاستقبال الرسمي الذي حظي به الزعماء من قبل السلطات المغربية "عملا عدائيا" ضدها ومساسا بالعلاقات الحسنة التي تربط البلدين، ولهذا رفض طلب الوفد الذي عاد خائبا إلى الرباط [18].

كما تتطرق الجرائد إلى الموقف الرسمي التونسي من العملية، والذي لم يختلف عن نظيره المغربي، حيث أبدى الزعماء التونسيون رفضهم القاطع لعملية الاختطاف، ولذلك عقد اجتماع طارئ لمجلس الوزراء برئاسة المرحوم الحبيب بورقيبة على الساعة الثانية صباحا من ليلة 23 إلى 24 أكتوبر 1956 لدراسة الوضعية الخطيرة التي ستنتج عن الاختطاف وتأثير ذلك على العلاقات التونسية –الفرنسية [19]، وفي نفس هذا المسعى عقد السيد الحبيب بورقيبة مؤتمرا صحفيا، بيّن فيه خطورة العمل الذي قامت به فرنسا، حيث اعتبره نوعا من الغدر، وأنه سيؤدي إلى توسيع رقعة الحرب شرقا وغربا بإدخال تونس والمغرب فيها "التي كنا نعمل ونريد أن تنتهي في صالح الجميع"، كما بيّن أن هذا الفعل كان سببا في توحيد البلدان المغاربية الثلاث، وأن التفاوض لن يكون إلا مع أحمد بن بلة وإخوانه المختطفين [20].

ونلمس الإجراءات المتخذة من قبل مجلس الوزراء في اجتماعه الطارئ من خلال ما صرح به السيد البشير بن أحمد كاتب الدولة للأنباء في الندوة الصحفية التي عقدها بمطار العوينات على الساعة الواحدة صباحا، حمّل خلالها فرنسا المسؤولية كاملة عما يمكن أن ينجر عن الحادثة لما قال "إن الزعماء الجزائريون كانوا ضيوفا على جلالة سلطان المغرب، ومدعوون من قبل الحكومة التونسية، وكل ذلك تم بعلم من الرأي العام الفرنسي وحكومته، وظهر لنا أنهم كانوا موافقين على

هذا اللقاء، كما أننا كنا متأكدين من أنهم كانوا متفهمين لمساعينا"[21]، ثم بيّن الإجراءات المتخذة التي حددها فيما يلي [22]:

– استدعاء السفير التونسي في فرنسا.

– استدعاء سفراء الدول الكبرى واطلاعهم على خطورة الحالة، وذلك من خلال اللقاء الذي جمعهم بالسيد الحبيب بورقيبة.

– إعطاء تعليمات لسفيري تونس في واشنطن ولندن للاتصال بالحكومتين، الأمريكية والبريطانية في هذا الشأن.

ختم السيد بن أحمد ندوته الصحفية قائلا "إن لقاء تونس الذي كان من المقرر أن يكون لقاء سلم في الجزائر، من المتوقع أن يتحول منذ يومه الأول وبشكل مؤسف إلى لقاء حرب" [23].

تتطرق الجرائد السالفة الذكر إلى العمل المشترك الذي بادرت به حكومتي المغرب و تونس بغرض الضغط على فرنسا لإطلاق سراح المعتقلين الجزائريين، ومن ذلك مثلا أن جلالة الملك محمد الخامس كان قد عقد عدة اجتماعات قبل مغادرته لتونس، بهدف إيجاد مخرج للوضعية وتوحيد المواقف و وجهات النظر بين البلدين الشقيقين، ونذكر على سبيل المثال ذلك اللقاء الذي جمعه بباي تونس في قصر قرطاج لمدة 35 دقيقة بحضور السيد الحبيب بورقيبة، وكان محوره عملية الاختطاف، وبعد نهاية اللقاء عاد الملك إلى مقر إقامته بدار السعادة ليحضَر نفسه للعودة إلى أرض الوطن، وهناك زاره كل من السيد باهي الأدغم نائب رئيس الحكومة التونسية و وزير داخليتها السيد المهيري ليطلعاه على قرارات اجتماع مجلس الوزراء التونسي السابقة الذكر [24].

كما اجتمع ممثلو الحكومتين في قصر السعادة بتونس وتدارسوا الوضعية الخطيرة التي تعيشها الثورة الجزائرية من جراء الحادثة، وأكدوا على "وحدة نظرهم في هذه الحالة وتضامنهم التام مع الشعب الجزائري من أجل نيل حريته نظرا لما يربط أقطار المغرب من روابط الدين والثقافة والتاريخ والمصير المشترك"[25]. وتمخضت اللقاءات المشتركة بين الطرفين بإصدار بيان مشترك في ليلة 22 إلى 23 أكتوبر 1956 قدمه إلى سفير فرنسا بتونس آنذاك السيد"م.دولوس M. Dollos" كل من السيد الحبيب بورقيبة رئيس الحكومة التونسية والسيد محمد العلمي سفير

المغرب بتونس، حيث طلبا منه تقديمه إلى حكومته كرد فعل على عملية الاختطاف، وكان مما ورد فيه أن "الدولتين تعتبران العملية "عدوانا صريحا" ضد سيادة الدولتين، ومحاولة من فرنسا لإفشال كل المحاولات لإيجاد حلول تفرض السلم في الجزائر"[26]، ونفس البيان قدمه السيد بلفريج وزير خارجية المغرب إلى الحكومة الفرنسية في اليوم الموالي.

تعطينا نفس الصحف معلومات وافية حول ردود الأفعال والمواقف الغير رسمية، شعبية وتنظيمية، الناجمة عن عملية الاختطاف، والتي يظهر أنها كانت في معظمها عفوية غلب عليها الحماس والاستنكار للحادثة، لقد عمت المظاهرات والمسيرات مدن المغرب وكذا تونس حيث أبدى الشعبان تضامنا غير مشروط تجاه الشعب الجزائري في المحنة التي أصابته. لقد لجأ شعبا البلدين إلى كل الوسائل للتعبير عن سخطه تجاه فرنسا فنظم العمال إضرابات عن العمل و نظمت التجمعات والمسيرات الحاشدة التي شاركت فيها كل فئات المجتمع " وما أن أعلن النبأ في المغرب حتى عم الحزن والاستياء جميع طوائف الشعب المغربي وهيئاته وأمسى ليلته في تحفز، فما أن بزغ الصباح حتى أصبحت مدن المغرب وقراه مسرحا لمظاهرات عامة شارك فيها أفراد الشعب رجالا ونساء شبابا وشيبا، فكنت ترى الأعلام لمغربية والجزائرية يحملها المتظاهرون هاتفين بحرية الجزائر مطالبين بالقصاص من الغادرين معلنة أن هذه الخطوة التي اتخذتها فرنسا ستكون سببا في القضاء على مصالحها في الشمال الإفريقي بأكمله" [27].

2 . صدى اختطاف الطائرة في الصحافة المغربية

ومن خلال مواضيع الصحف يمكننا تتبع تطور الأحداث بتفاصيل دقيقة في كل مدينة وقرية مغربية، فكان بعضها سلميا في حين أن بعضها الآخر تميز بالعنف تجاه الفرنسيين المقيمين بالمغرب ومصالح هذه الدولة هناك، ولهذا فإنه يستحيل ذكر كل الأحداث بتفاصيلها ونكتفي بذكر نماذج منها لإبراز ذلك التلاحم الذي طبع شعوب المغرب العربي آنذاك، ففي مدينة الدار البيضاء تخبرنا جريدة العلم أن التذمر والاستياء عم كل السكان بمجرد سماعهم للخبر، فخرج الجميع رجالا ونساء وأطفالا في مسيرات حاشدة رافعين العلم الجزائري والمغربي، وجابوا شوارع المدينة ليلتقي الجميع في شارع محمد الخامس وساحة باب الكبير، في وقت كانت مكبرات

الصوت "تنادي باستنكار الغدر والتعدي على كرامة المغرب واستقلاله وعلى حرمة جلالة الملك وتعلن تضامن الشعب كله مع الجزائر المكافحة وتنادي بتحرير القادة الجزائريين" [28].

عرفت مدن مغربية أخرى نفس الأحداث، ففي مدينة فاس سار سكانها بعد ظهر يوم 23 أكتوبر في مسيرات حاشدة عبرت شوارع المدينة القديمة و كذا فاس الجديدة، ومن الشعارات التي كان يرددها المتظاهرون "نريد الاستقلال التام للجزائر" "نطالب بجلاء القوات الفرنسية عن أرض المغرب كله"[29]، غير أن الإضراب توسع في اليوم الموالي حيث نظمت مسيرة ضخمة شارك فيها أكثر من تسعين ألف شخص، انطلقوا من فاس الجديدة وجابوا الشوارع وهم يحملون الرايات الجزائرية والمغربية، ويرددون شعارات منها "إننا لن نثق بعد بتعهدات فرنسا الغادرة" "لا يهدأ لنا بال حتى يتحرر أبطال جبهة التحرير الجزائرية وحتى تستقل الجزائر استقلالا كاملا" [30].

تخبرنا الصحف أن جميع الأنشطة توقفت في مدينة ميدلت وأعلن إضراب عام شارك فيه الجميع بما فيهم اليهود المقيمون بها، ونفس الحالة عاشتها مدينة الجديدة أين أغلقت الإدارات والمحلات أبوابها وخرج السكان في مسيرة على الساعة العاشرة صباحا مطالبين باستقلال الجزائر، ثم تلتها مظاهرات على الساعة الثانية زوالا شارك فيها عدد غفير من السكان بما فيهم الفرنسيين، كما عرفت مدينة مراكش إضرابا عاما رافقته مظاهرة كبيرة رفع خلالها المتظاهرون الراية الجزائرية ونادوا "بسقوط الاستعمار الفرنسي، وبتحرير قادة جبهة التحرير من يد القراصنة الأنذال" [31]. ولم تشذ المدن المغربية الأخرى عن هذه الحالة، فلقد عرفت مدن كوجدة ومكناس إضرابات عامة حيث شلت كل الأنشطة، وعبَر السكان عن تضامنهم مع الجزائر "إن الشعب كله ابن بلة ولن يهدأ له بال ولا يرتاح له ضمير إلا بالتحرر من كل دخيل، وليس الشعب المغربي وحده يقف اليوم بجانب الجزائر المكافحة" [32].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المظاهرات لم تقتصر على مشاركة المغاربة وحدهم، بل تخبرنا الصحف على مشاركة جاليات أخرى نددت بدورها بالتصرف الفرنسي الغير محسوب العواقب، فعلى سبيل المثال نظم اليهود في مدينة الرباط مظاهرة كبيرة دامت ثلاث ساعات حملوا خلالها الأعلام الجزائرية، وهو نفس العمل الذي قام به يهود الدار البيضاء الذين أرسلوا برقيات

احتجاج ضد ما قامت به فرنسا، وكان "أحرار فرنسا" الذين يمثلون ست هيئات فرنسية بالمغرب قد أرسلوا بدورهم برقيات احتجاج واستنكار اعتبروا من خلالها أن ما قامت به بلادهم يعتبر مساسا "بسمعة فرنسا وسياسة التعاون والصداقة، كما أنهم يستنكرون استمرار سياسة القوة في الجزائر التي تحطم كل أمل في التفاهم والسلام" (33).

وإذا كانت المظاهرات التي عاشتها المدن المغربية قد بدأت سلمية، فإنه سرعان ما تحول الكثير منها إلى أعمال عنف ضد الفرنسيين المقيمين في المغرب، فعلى سبيل المثال شهدت مدينة مكناس أعمال عنف أعقبت مقتل المدعو عبد السلام لإكندي الذي كان يعمل رئيسا للحرس البلدي، وقد وقع الحادث على الساعة الثالثة و أربعين دقيقة من يوم 23 أكتوبر 1956 لما كان هذا الشخص يهم بتفريق تجمع لبعض الأطفال في أحد شوارع المدينة الجديدة حيث أطلق عليه أوربي رصاصة تسببت في وفاته ساعة بعد ذلك، فاندلعت مواجهات عنيفة بين السكان والأوربيين الذين أصبحوا يطلقون النار بشكل عشوائي، ولم تتوقف المواجهات إلا بعد تدخل قوات الجيش الملكي التي فرضت النظام وطبقت حضرا للتجول في المدينة (34).

كما تتحدث إحدى الصحف أنه أمام صعوبة الموقف اضطر المشرفون على الأمن إلى استقدام قوات إضافية من الرباط وتوزيعها على مختلف أحياء المدينة، كما تشكلت قوات من الجيش الملكي والجيش الفرنسي تقوم بدوريات في المدينة، وأمام الخطر الذي كان يهدد الفرنسيين طالب السفير الفرنسي مساعدة جيش بلاده لإجلاء العائلات الفرنسية من المدينة "والتي نجت بأعجوبة من بطش المتظاهرين الذين كانوا مدججين بالسواطير والقضبان الحديدية" (35). وكان عامل المدينة قد قدَم ضمانات لممثل السفارة الفرنسية بأن كل الإجراءات قد اتخذت داخل المدينة وضواحيها لحماية أرواح الأوربيين وممتلكاتهم.

نتج عن أعمال العنف، حسب نفس الصحيفة، فقدان عدد من الأشخاص الذين لم يظهر عليهم أي خبر رغم مرور ثمانية وأربعين ساعة مما أوقع ذويهم في حيرة وحزن، ثم تعطينا نفس الصحيفة معلومات عن قتلى هذه الأحداث، ومن ذلك مثلا أن امرأة تدعى السيدة "بويسون Bouisson" وابنتها ألقي بهما في كومة من التبن ملتهبة في منطقة آيتزازم حيث أحرقتا حيتين، كما أحصت حوالي عشرين قتيلا و عدد من الجرحى الفرنسيين ذكرت أسماءهم

ووظائفهم، غير أن الصحف المغربية الأخرى لم تتطرق لهذه الأحداث مما يجعل هذه الجريدة الوحيدة التي انفردت بذكر هذه المعلومات الخطيرة، وأمام كل هذه الوقائع اجتمع الموظفون الفرنسيون وأصدروا قرارا تضمن توقيف كل تعاون مع الحكومة المغربية مع وضع أنفسهم تحت تصرف السفارة الفرنسية [36].

أما في مدينة فاس فبعدما سارت الأمور بشكل عادي، كادت المسيرة السلمية أن تتحول إلى مواجهات دامية بين السكان والأوربيين، وذلك لما قام أحد الفرنسيين برمي الماء على المتظاهرين ثم نشر العلم الفرنسي بشارع مولاي يوسف، كما كان ينطق بكلمات سافلة وبذيئة في حق المتظاهرين مما أثار غضبهم، خاصة لما أصيب شرطي مغربي بجروح نتيجة حجر رماه عليه ذلك الفرنسي، وكادت الأمور أن تخرج عن السيطرة لولا تدخل السيد محمد بن شقرون الكاتب العام لحزب الاستقلال بالناحية ومساعديه الذين هدءوا الوضع[37]، وفي مدينة سيدي قاسم قتل معمر فرنسي داخل مزرعته التي أشعلت فيها النار [38].

لم يختلف الوضع في تونس عما كان عليه في المغرب، حيث عمت المظاهرات والإضرابات جل المدن التونسية مرافقة للمواقف الرسمية التي اتخذتها الحكومة التونسية، لقد بدأت ردود الأفعال الشعبية في نفس اليوم الذي تمت فيه عملية الاختطاف، ففي يوم 22 أكتوبر 1956 على الساعة الخامسة والنصف مساء تجمع حوالي خمسمائة شاب يحملون الرايات الجزائرية أمام السفارة الفرنسية بساحة الحرية، وهم يرددون شعار "لاكوست إلى المشنقة"، وقد حاول عناصر من الأمن بالزي المدني تفريقهم لكن دون جدوى، مما استدعى استقدام قوات من الجيش التونسي التي حالت دون هجوم هؤلاء على السفارة وأعادت الهدوء إلى المكان [39]. أما في مدينة صفاقس فاندلعت مظاهرات، تحولت إلى أعمال عنف نتج عنها تكسير واجهات المحلات والمقاهي، وكادت أن تتحول إلى ما لا يحمد عقباه لولا تدخل قوات الأمن التي أعادت إليها الهدوء [40].

غير أن الأوضاع كانت أكثر دموية في مناطق أخرى من تونس، فلقد اندلعت مواجهات بين المدنيين التونسيين والجيش الفرنسي نتج عنها عدد من القتلى، ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية خبر اختطاف ثلاثة جنود فرنسيين بالجنوب التونسي ليعثر عليهم فيما بعد مذبوحين، كما

اختطف ضابطين فرنسيين ولم يعثر لهما على أثر[41]، وفي هذه الأثناء اندلعت مواجهات مسلحة بين القوات التونسية وجيش الفرنسي على طول الحدود الجزائرية –التونسية، وأعلن عن ذلك في تصريح للسيد الحبيب بورقيبة داخل الجمعية التأسيسية أكد فيه وقوع هذه المواجهات وقال "إننا نفضل الموت على الذل" [42].

الخاتمة:

وخلاصة القول أن حادثة اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين الخمسة شكلت دافعا لبروز تلاحم رسمي وشعبي بين البلدان المغاربية، هذا التلاحم الذي تجسد في أحداث كثيرة سبقت ذلك التاريخ، خاصة خلال المسيرة النضالية لشعوب المنطقة ضد الاستعمار كالذي حدث في عام 1926 من خلال تأسيس نجم شمال افريقيا، أو بعد هذا الحادث كالذي تم في عام 1958 خلال انعقاد مؤتمر طنجة. إن هذه الأحداث وتفاعل شعوب المنطقة معها يمكن أن تكون في وقتنا الحاضر أرضية لبناء مغرب عربي موحد تزول فيه الحدود والخلافات، خاصة ونحن نعيش في عالم مبني على التكتلات ولا مكان فيه للانعزال والانغلاق على الذات.

الهوامش

1- الفاسي، علال، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، الطبعة السادسة، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003، ص 308.

2- كان الوفد يتشكل من المناضلين التالية أسماؤهم: محمد بوضياف، أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد خيضر، بالإضافة إلى مصطفى الأشرف.

3- جريدة العلم، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333.

4- جريدة الرأي العام، 24 أكتوبر 1956، العدد 316.

5- **جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد2333

6- جريدة العلم، 26 أكتوبر 1956، العدد 2335

7- **Le petit Marocain**, Mardi 23 Octobre 1956,n^0 12300.

8- **Le petit Marocain**, Mardi 23 Octobre 1956,n^0 12300.

9- Idem.

10-**Le petit Marocain**, Mardi 23 Octobre 1956,n^0 12300

11 - **جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333.

12- **جريدة العلم**، 25 أكتوبر 1956، العدد 2334.

13-**Le petit Marocain**, Mardi23 Octobre 1956, n^{0}12300.

14-**Le petit Marocain**, Mardi 23 Octobre 1956, n^0 12300.

15- **جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333..

16-**نفسه**.

17-**Le petit Marocain,** Jeudi 25 Octobre 1956, n^{0}12302.

18-**Al Istiklal**, 26 Octobre 1956,n^{0}30.

19-**جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333.

20-**نفسه**.

21- **جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333.

22-**Le petit Marocain**, Mardi 23 Octobre 1956, n^0 12300.

23- **جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333.

24-**Le petit Marocain**, Mardi 23 Octobre 1956, n^{0}12300

25-**جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333.

26-**جريدة العلم**، 25 أكتوبر 1956، العدد 2334

27-**جريدة العلم**، 26 أكتوبر 1956، العدد 2335.وكذلك:

- Le petit Marocain, Vendredi 26 Octobre 1956,n^{0}12303.

28- **جريدة الرأي العام**، 24 أكتوبر 1956، العدد 316

29--**جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333.

30- **نفسه**.

31-**جريدة العلم**، 25 أكتوبر 1956، العدد 2334.

32-**جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333.

33- **نفسه**.

34- **جريدة الرأي العام**، 24 أكتوبر 1956، العدد 316.

35-**جريدة العلم**، 24 أكتوبر 1956، العدد 2333.

36-**Le petit Marocain**, Jeudi 25 Octobre 1956, N^{0}12302.

37- **Idem**.

38-**جريدة العلم**، 25 أكتوبر 1956، العدد 2334.

39-**جريدة العلم**، 26 أكتوبر 1956، العدد 2335.

40-**Le petit Marocain**, Mardi 23 Octobre 1956, N^0 12300.

41-**جريدة العلم**، 25 أكتوبر 1956، العدد 2334. وكذلك: **جريدة الرأي العام**، 24 أكتوبر 1956، العدد 316.

42-**جريدة العلم**، 29 أكتوبر 1956، العدد 2338.